

صفة الصفوة

فقال يا أبا مالك أصف لك هي وإني تبكي الليل والنهار لا تكاد تفتري قال ليس عن هذا أسألك كيف تبتدئ بالبكاء قال نعم يا أبا مالك تسمع الشيء من الذكر فترى الدموع تنحدر من جفونها كالقطر قال فمجاري الدموع من المآق الذي على الأنف أكثر أم مؤخر العين مما يلي الصدغ قال يا أبا مالك إن دموعها أكثر من أن يعرف هذا من هذا ما هي إلا أن تسمع الذكر فتجيء عيناها بأربع نجومًا متبادرة جدا .

فبكى أبي وقال ما أرى الخوف إلا قد أحرق قلبها كله ثم قال كان يقال إن كثرة الدموع وقلتها على قدر احتراق القلب حتى إذا احترق القلب كله لم يشأ الحزين أن يبكي إلا بكى والقليل من التذكرة بحزنه .

قال مالك بن ضيغم وقال لي أبي يوما انطلق مع منبوذ حتى تأتي هذه المرأة الصالحة فتنظر إليها يعني شعوانة فانطلقت أنا وأبو همام إلى الأبله ثم غدونا عليها فدخلنا فسلم عليها منبوذ وقال هذا ابن أخيك ضيغم فرحبت بي وتحفت وقالت مرحبا بابن لم نره ونحن نحبه أما وإني بني إني لمشتاقة إلى أبيك وما يمنعني من إتيانه إلا إني أخاف أن يشغله عن خدمة سيده وخدمة سيده أولى به من محادثة شعوانة .

قال ثم قالت ومن شعوانة وما شعوانة أمة سوداء عاصية .

قال ثم أخذت في البكاء فلم تزل تبكي حتى خرجنا وتركناها